

التجربة الجينولوجية وسؤال البحث عن الحقيقة، أو، الجينولوجيا ودلالاتها في فلسفة نيتشه.

Genealogical experience and the question of searching for truth, or, genealogy and its significance in Nietzsche's philosophy.

ماريف أحمد*¹

¹ جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، ahmed.marif@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2021/12/12

تاريخ القبول: 2021/10/04

تاريخ الاستلام: 2021/02/09

ملخص: تعتبر الجينولوجيا من أهم وأبرز المناهج الفلسفية المعاصرة، وقد كان الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه سباقا إلى البحث والتأسيس لهذا المنهج، من خلال بحثه وطرحه لسؤال الأصل فجاءت الجينولوجيا كمنهج يهدف ويسعى إلى الكشف عن الحقيقة وتعريفها ومختلف التزييفات التي ألصقت بها، وتفكيك نماذج القول التي قام عليها فعل التفلسف، من خلال التفلسف بضربات المطرقة بلغة نيتشه، وهذا فإن الجينولوجي هو الطبيب والمشرع والفنان الذي يمارس النقد من أجل تعرية الميتافيزيقا وكشف سيطرتها.

وتظهر نتائج هذا البحث من خلال التعرف على الجينولوجيا كمنهج فلسفي يفكك الحقيقة ويكشف زيف اللغة والميتافيزيقا، كما أن الجينولوجيا تجعلنا نعرف مختلف إرادات الحقيقة التي تهيمن على العقل وإعادة استشكالها من جديد بغير الوقوف على أصلها ومعناها الحقيقي. كلمات مفتاحية: الجينولوجيا، المنهج الجينولوجي، نيتشه، الحقيقة، سؤال الأصل.

Abstract: Genealogy is one of the most important and prominent contemporary philosophical approaches, and the German philosopher Frederick Nietzsche took the lead in researching and establishing this approach through his research and asking the question of origin. The genealogical approach is one that seeks to uncover the truth and strip the various falsehoods that have been attached to it, unravelling the speech models on which the act of fallacy was based, through the inflection of hammer strikes in Nietzsche, so that Genealogi is

the doctor, legislator and artist who criticizes the stripping of metaphysics and the detection of their control.

The results of this research are shown by the recognition of geology as a philosophical approach that deconstructs truth and reveals the falseness of language and metaphysics. It also makes us know the various truths of truth that dominate the mind and recalibrate them in order to determine their true origin and meaning.

Keywords: Genealogy, the genetic method, Nietzsche, truth, the question of origin.

1. مقدمة:

تعددت واختلفت المناهج التي سعت إلى البحث والكشف عن الحقيقة هذه الأخيرة تعتبر المبتغى الأول، والهدف الأسى الذي سعت كل الفلسفات إلى بلوغه وإدراكه، وهذا ما تمثل مع العديد من المناهج الفلسفية المعاصرة، ولعلّ من أبرز هذه المناهج المنهج الجينيولوجي مع الفيلسوف فريدريك نيتشه "Frederick Nietzsche" (1844-1900)، الذي اتخذ من الجينيولوجيا طريقاً ومنهجاً للكشف عن مختلف صيرورات الحقيقة و تعددها، انطلاقاً من أن الجينيولوجيا كحقل للبحث في الحقيقة تسعى من خلال النقد الذي تمارسه على الميتافيزيقا إلى تفكيك مختلف بنى الخطاب الميتافيزيقي ومعرفة مكوثاته، وكذا العوامل المتحكمة فيه والتي أنشأته أيضاً، من خلال بحثها في ذلك التاريخ المنسي بالاستناد إلى التحليل الحفري لمختلف خطابات الحقيقة، ثم السعي إلى تأويلها وتحريها من نمطية المطلقة إلى أنموذج النسبية والتعدد، أو الصيرورة والاستمرارية، وهذا بإرجاع كل القيم إلى أصل واحد والذي هو إرادة القوة باعتبارها مبدءاً ومصدراً لكل حقيقة كيف ما كانت.

وقد جاءت هذه الورقة البحثية لتطرح الإشكالية التالية: ما الجينيولوجيا؟ وكيف سيستثمرها فريدريك نيتشه في تأسيسه وبحثه عن الحقيقة؟ وما هي النتائج المترتبة عن البحث الجينيولوجي؟

وقد تضمنت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة وهي:

- كيف ستغدو مهمة الجينيولوجيا والجينيولوجي في بحثهما عن الحقيقة في ظل تعددها وتنوعها؟ وما طبيعة السؤال الجينيولوجي؟

- ما هي الأسس التي ستبنى عليها الجينياالوجيا باعتبارها منهجا في البحث عن الحقائق؟
- ما هي الأدوات التي سيوظفها الجينياالوجي في كشفه عن الحقيقة وتاريخها؟ وكذا في سعيه نحو التأسيس لها؟ وما هي الأدوات المقترحة والممكنة في أدائه لمهمته هذه؟
هذه بعض الأسئلة التي ستحاول هذه الورقة الإجابة عنها انطلاقا من محاولة الإجابة عن الإشكالية الرئيسية للبحث.

أما أهداف هذا البحث فقد تمثلت في ضبط وتحديد الجينياالوجيا كمفهوم، ومعرفة مسارات تطورها، وكذا في سعيها نحو إدراك الحقيقة التي حاول نيتشه من خلال تأسيسه للجينياالوجيا كمنهج لأجل بلوغها، ومعرفة أصل هذه الحقيقة وطبيعتها التي هي عليها، أو تلك التي كانت عليها، وصولا إلى الطريقة التي يجب أن تتأسس عليها الحقيقة، وهذا من خلال معرفة طبيعة النقد الجينياالوجي الذي مارسه نيتشه ضد الميتافيزيقا التي عمل بجهد لأجل دحضها.

2- مفهوم الجينياالوجيا:

أ- لغة:

تطلق لفظة جينياالوجيا على سلسلة النسب "علم الأنساب" فهي مركبة من الكلمة اليونانية Genea وتعني عرق و Logy وتعني علم، وهناك من يرى أن كلمة الجينياالوجيا تتكون من حيث اشتقاقها من كلمتي مصدر "جينوس" و "لوغوس" وتستخدم في اللغة العامة للدلالة على علم الأنساب، إلا أن استخدامها الفلسفي قد تغير بعض الشيء وخاصة في كتابات نيتشه الذي حولها إلى البحث عن مصادر القيم والأخلاق (P , 2018, www.marefa.org). (01).

ب- اصطلاحا:

وجاء في قاموس الانثروبولوجيا أن الجينياالوجيا هي شجرة النسب، رواية شفوية، أو وثيقة مكتوبة معترف بمحتوياتها تسجل اباة فرد أو جماعة...فهي مباحثة في الأصول وسعي جاد في الكشف عن القوى المتسببة في التحول والتغير والانعطاف.

وتدل الجينياالوجيا في معناها المباشر إلى "دراسة نشأة الشيء والوقوف عند الأصل الذي صدرت عنه الظواهر..." (الإعلام الالكترونية، 2017، صفحة 01)

والجينولوجيا **généalogie** منهجية في البحث تعمل على الكشف عن المفاهيم التي تتوارى وتختفي، وهي عودة إلى طباع الأسلاف التي ابتعدت عنها الأناسال السابقة، وراثاة الأفكار والتصرفات المنحدرة من الأجيال الغابرة والأجيال المقصودة هنا تحديدا شعب الإغريق الأكثر عراقاة، شعب الفلاسفة الأزوع تعاطيا مع الفكر والحياة، فالفلسفة ابتداء من أفلاطون إلى هيغل تبدو حلقة مفرغة كرسست جهودها في تمثلات بلوغ الإنسانية مرحلة غاية الكمال، والجينولوجيا قبل كل شي هي مؤلف نيتشوي نقدي متميز ذو أبعاد ممتدة إلى ما يتجاوز النقد الحديث بكل ما أوتي من قوة، بل هو نقد للنقد بصيغتيه المثاليتين النقدية والجدلية، أي الكانطية والهيغلية. (نيتشه ترجمة فتحي المسكيني، 2012).

فالجينولوجيا هي ذلك الاستبدال الذي فرضته الضرورة حيث كان من اللازم أن تتحطم تلك الآليات الكلاسيكية وتظهر الجينولوجيا لتكريس النقد المزدوج: نقد الفلسفة كمحتوى، ونقد المنهجيات المتعالية كاستراتيجيات.

3- التأسيس النيتشوي للجينولوجيا:

3-1 الجينولوجيا عند نيتشه:

يقول نيتشه "إننا بحاجة إلى نقد القيم الأخلاقية، فقيمة هذه القيم ينبغي أن تطرح قبل كل شي على بساط البحث..." (نيتشه، 2010، صفحة 32).

يبدو من كلام نيتشه أن الجينولوجيا نوع جديد من الممارسة، ومن ثمة فقد كان من الضروري أن تُعرف الشروط والأوساط التي وُلدت فيها القيم والتي كانت بمثابة الرحم الذي نمت فيه وتشوهت، أن تعرف تلك الشروط معرفة لم يحدث لها مثل حتى الآن فالقضية المطروحة هي قضية التجوال في صقع الأخلاق تجوالا يطرح كمية من المشكلات الجديدة التي ينظر إليها بأبصار جديدة.

وبهذا في نظر نيتشه فإن الأفكار قد خانت أعظم مؤرخي الأخلاق الذين كانوا يستعينون، بها لقد غيبت عنهم الذهن التاريخي في استيعاب الماضي وفهمه، لأنهم يتبنون طريقة منافية

للتاريخ بصورة جلية تتمثل في الحكم على أصول المفاهيم وفق طريقة سطحية وبدون أدنى مبالاة لهذا ظهرت الجينياالوجيا لأول مرة كفنّ لقراءة التاريخ، تاريخ الأفكار والمفاهيم وكان ذلك تحت صيغة "الحس التاريخي" le sens historique أو الفلسفة التاريخية وهما العبارتان اللتان يُفضّلهما نيتشه منذ استهلالات كتابه الموجه إلى ذوى العقول الحرة "إنسان مفرط في انسانيته **humain trop humain**" وهذا تكون الجينياالوجيا علم الأصول أو كما هو شائع بين جمهور الفلاسفة على أنها البحث في الأصل لا باعتباره اللحظة الممتازة التي يتوقف عندها التاريخ في عودته إلى الخلف، وإنما الجينياالوجيا هنا وبهذا المعنى تبدأ في تكسير الأحجية (الأصول) المنوطة بها لتظهر أمامنا كفن العمق الذي لا يحتوي على قرار، وبهذا فإن الفلسفة التاريخية كان يجب عليها أن تكشف عما كمن وبطن وكفن في الماضي، هذا الكامن كان من الممكن جدا أن يظهر فوق السطح لأن الحقيقة البراقة والموزعة للسعادة مصدرها قرون من العقول الميتافيزيقية التي مارست السياسات التخاذلية وقدمت التنازلات الفكرية بمنعها، أي منعت الحقيقة من أن تشع ببساطتها وتمنحها الفرصة لتظهر أو تبدو على الأقل كحقائق محتشمة، والحقائق المحتشمة تلك هي التي ستخضع لمبدأ الأولوية بدل التباهي ببعض الخلائط الكيمياوية لبعض الأفكار والأحاسيس التي بمجرد أن تتفكك تهاوى وتندثر، لهذا فإن نيتشه يتساءل ويقول: كيف لنا نحن المقوضون والمؤمنون بالعودة إلى الوراء بممارسة النكوص حينما نتخلص من فكر البداية والأصل؟

2-3 السؤال الجينياالوجي باعتباره سؤالاً يبحث في الأصل:

ليس المقصود من الجينياالوجيا الإشادة بالأصل origine والبداية commencement بهذا سيدفعها وسيغرقها في الميتافيزيقا التي تحن إلى البدايات وترغم نفسها على ضرورة العودة إليها، لهذا فإن الجينياالوجيا ليست استعادة لجذور الهوية والتراث وإنما تعود لهذه البدايات لتحطمها وتهدمها وتجعلها تنتج اختلافها حتى مع ذاتها بتكريسها للقلق الأنطولوجي على الماهيات المؤسسة وحينها سنغدو نحن "العقول الحرة" أكثر حرية لأن الأصل قد تفكك بعد

أن كان مجرد ذريعة بل سوء فهم لأننا لا نعتبره إلا مدخلاً إلى العمق، إلى فلسفة الأعماق التي تُمارس عليها أحدث المناهج الفلسفية.

4- الجينيولوجيا من فلسفة المعنى إلى فلسفة القيمة:

1-4 الجينيولوجيا والتأسيس لسؤال الأصل:

يفتح نيتشه كتابه "جينيولوجيا الأخلاق" بقوله: "إن أفكارني عن مصدر أحكامنا المسبقة في الاخلاق - إذ بها يتعلق الأمر في هذا المؤلف السجالي- إنما أخذت تعبيراتها الأولى والضمنية والمؤقتة ضمن ذلك المجموع من الشذرات الذي يحمل عنوان "إنساني مفرط في إنسانيته، كتاب للعقول الحرة" (نيتشه، 2010، صفحة 10)، فالمشروع الجينيولوجي النيتشوي لا يؤرخ له بكتابه جينيولوجيا الأخلاق بل نجد له إرهابات سابقة جاعلا من الأخلاق تطبيقات أكيدة لهذا المنهج بحثا في القيم بما هو قائم لتصبح الجينيولوجيا بذلك "أحد الابتكارات العظيمة لنيتشه في الحقل الفلسفي، يتمثل هذا بشهادة الكثير من الفلاسفة والمفكرين أمثال كلوسفسكي وبلونشو وفوكو ودولوز وميشال ري ودريدا في بلورته لمفهوم القراءة كآليات وإجراءات لتفكيك النصوص وتأويلها، وفي وقت لم تكن فيه بعد علوم تحليل الخطاب قد ظهرت..." (نيتشه، 2010، صفحة 35)

وعليه يبدو أن رحلة البحث في الأصول ليست بالسهلة لهذا يتحدث نيتشه أن الدافع الأساسي لبحثه في الأصل وأصل الأخلاق على وجه التعيين كان هو كتاب أصل الشاعر الأخلاقية حيث يقول: "إن أول دافع على التصريح بشيء من فرضياتي حول أصل الأخلاق قد أتاني من كتيب واضح نزيه ورزين بل له رزانة الشيوخ حيث اعترضني على نحو جلي لأول مرة نوع مقلوب ومنحرف من الفرضيات الجينيولوجية هو نوع انجليزي بآتم معنى الكلمة وجذبي إليه بقوة الجاذبية تلك التي تنطوي على كل ما هو مضاد وكل ما هو معاكس، كان عنوان الكتيب هو أصل الشاعر الأخلاقية، وكان مؤلفه هو بول ري، وسنة ظهوره 1877" (نيتشه، 2010، صفحة 35) وهذه أحد المشارب المتنوعة لنيتشه.

وينقلنا محمد أندلسي من خلال قراءته لنيته إلى الاستفادة من المنهج الجينيالوجي لفهم الخطابات الفلسفية وكذا اللغة التي تلقي بتأويلاتها داخل النص النيتشوي، "والحقيقة أن الصعوبة الأساسية التي يواجهها قارئ النص الجينيالوجي تتمثل في نظر أريك بلونديل في كون الخطاب الجينيالوجي خطاب مستحيل لأنه لا يحيل على خطاب آخر، ولا يحيل على واقع معطى يوجد خارج الخطاب، فهو خطاب حول الخطاب، لغة حول اللغة، تأويل لتأويل" (اندلسي، 2006، صفحة 26)

2-4 الجينيالوجيا عند جيل دولوز:

يرى دولوز أن الهدف من الجينيالوجيا ليس الدخول في مشاكل الأصل والبحث عنه، وإنما في إصدار أحكام القيم بصدد الأصل وهذا ما يخرجها من مجال الميتافيزيقا، ومن ثمة فإن "فلسفة القيم... هي الإنجاز الحقيقي للنقد، والطريقة الوحيدة لإنجاز النقد الكلي، أي صنع الفلسفة بضربات المطرقة... والقيم بالتالي هي التي تفرض تقويمات (بمعنى وجهات نظر تثنائية) تشتق من قيمتها بالذات... وتظهر أمامنا إذا الجينيالوجيا (النسابة) كقيمة الأصل واصل القيمة في الوقت ذاته وهي تتعارض مع الطابع المطلق" (دولوز، 1993، صفحة 75).

وبهذا فقد كانت الجينيالوجيا تسعى إلى إزالة القناع عن نسق المعتقدات والافتراضات التي كانت بمثابة دعم وارتكاز للنص الميتافيزيقي لإنتاج مفاهيم تشتغل كحقيقة أو كمعيار لها ومبدأ.

كما أن غرض الجينيالوجي عند كل محاولة هو تحقيق الوظيفة التفكيكية للنص لتقويض المفاهيم وإيقاظ الدلالات، ويضيف محمد أندلسي: "تسعى الجينيالوجيا بما هي منهج في القراءة والتأويل إلى تفكيك النصوص والخطابات الدينية والأخلاقية والفلسفية و العلمية والتعامل معها باعتبارها علامات وأعراض، أو باعتبارها أقنعة تختفي وتحجب التواطؤ وراء مفاهيم وقيم تقدم ذاتها في صورة حقائق مطلقة ومثل عليا مكتملة وأصنام مقدسة... ومن جهة أخرى فإن التحليل الجينيالوجي بما هو صعود على أصل تلك المفاهيم والقيم بهدف تحديد مصدرها، وقيمة ذلك المصدر ينتهي إلى تعرية وفضح السلطات وإرادات القوى

المختلفة...وهي ارتكاسية في جوهرها تقف وراء تلك المفاهيم والقيم وتتحكم في النصوص والخطابات" (اندلسي، 2006، صفحة 28).

والقوى الارتكاسية نموذجان وهما القوى الفاعلة والقوى الارتكاسية وهذا التقسيم استمدته نيتشه من تشخيصه الجينالوجي للأخلاق والقوى الفاعلة هي دوما الأرقى وهي المسيطرة، لكن في المقابل هناك القوى الدنيا أو الارتكاسية التي يمكنها أن تنتصر و تغلب، ولهذا كان شعار إرادة القوة النيتشوية هو "علينا دائما أن ندافع عن الأقوياء ضد الضعفاء" (دولوز، 1993، صفحة 76)، وبحسب نيتشه وجب أن لا نحكم على القوى المنتصرة على أنها هي الفاعلة، وبالتالي التسليم بنظرية داروين التطورية القائلة بالصراع والبقاء للأقوى، لأن القوى الارتكاسية قد تكون المنتصرة أحيانا، ولهذا وجب التأكد من طبيعة هذه القوى المنتصرة قبل أن نحكم عليها بأنها فاعلة أو ارتكاسية، وما انتصار الضعفاء إلا لأن عددهم هو الأكبر، فهم باجتماعهم يشكلون قوة أقوى من قوة القوي لكن العبد حتى حين ينتصر لا يكف على أن يكون عبدا ولهذا فإن نيتشه يؤكد على عدم وجوب الحكم على القوى من خلال مبدأ الصراع وما يترتب عليه من انهزام أو انتصار وإنما الحكم عليها من حيث نوعيتها من حيث أصلها، وهذا من خلال عملية البحث الجينالوجي البحث في الأصل وعنه، ومن خصائص ومميزات القوة الارتكاسية هو أنها قوة نفعية متكيفة مع كل الظروف كما أنها قوى دائما تحاول أن تفصل وتبعد القوة الفاعلة عن أهدافها وعن ما تستطيع فعله وهذا ما يتجلى في عملية انتصار الضعفاء أو العبيد وهي كذلك قوة تنفي نفسها بنفسها أي أنها تنقلب ضد ذاتها من خلال حكم الضعفاء فالقوى الارتكاسية دائما عندما لا تجد إلى من توجه أحكامها وسهامها فإنها تحولها إلى نفسها إلى ذاتها، وبمقابل هذه القوى الارتكاسية هناك القوى الفاعلة التي تتصف بالمرونة والسيطرة والقهر، كما أنها قوة تبدل أقصى ما في وسعها لبلوغ وتحقي مبتغاها، وهي أيضا قوة تثبت الاختلاف والتعدد والصرورة و هذا الاختلاف هو موضوع استمتاعها.

5- الجينياالوجيا باعتبارها فيلولوجيا او (الجينياالوجيا درس الفيلولوجيا):

1-5 الجينياالوجيا والبحث عن مصدر اللغة:

تلقى نيتشه تكوينا فيلولوجيا على يد أستاذة "ريتشل" بجامعة لايبزيغ وكان لهذا التكوين أثرا كبيرا على فكره بصفة عامة وعلى جينياالوجيا الأخلاق بصفة خاصة (1887) لأن الجينياالوجيا تجعلنا نصغي إلى اللغة محاولين أن نعثر وراء الكلمات على حديث أكثر أهمية، حديث الإرادة التي تختفي وراء الكلمات أو حديث القوى الفاعلة التي تتقنع وراء الكلمات، وبهذا فإننا في الجينياالوجيا نجد نوعا من اللغة أو بالتحديد نوعا من الفيلولوجيا أي فقه اللغة، وهو نوع لا يهتم بما تقوله الكلمات وإنما يهتم بمن يمتلك سلطة الكلام، وبالقوى التي تتصارع في اللغة، ومن خلالها القوى التي تمتلك سلطة التأويل، وبالتالي فإن الفيلولوجيا تضع أمامها أسئلة جديدة تطرح لأول مرة وبصورة جريئة حيث تتساءل: من يستخدم الكلمة؟ وعلى من يُطبّقها؟ وماذا ينوي وراء ذلك؟ وماذا يريد وهو يقول تلك الكلمة؟

يتوصل الجينياالوجي من خلال الإجابة عن هذه الأسئلة إلى أن اللغة لم تكن أبدا أمرا طبيعيا وإلى أنها خضعت للتحريف من مختلف الإرادات، وإلى أن أصلها نفسه كان فعل من أفعال السلطة وهذا يعني أن العلاقة التي تقوم في عملية التأويل علاقة عنف لا علاقة توضح وكشف، كما يعني أن اللغة ليست وسيلة للمعرفة بل هي أداة في خدمة أمر، في خدمة سلطة... لهذا فإن الجينياالوجي لا يتوقف عند أصل الكلمات ومسارها التاريخي والرحم الذي نشأت فيه، بل هو يحاول أن يكشف عن النوازع الحيوية التي تقف وراءها. (مفرج، 2008، الصفحات 56-57)

2-5 الإسهام الفيلولوجي في التأسيس للصرامة الجينياالوجية:

إنّ المتاهات الفيلولوجية هي التي تمنح الجينياالوجيا طابعها الأبدي، إذ أن نظرية المعرفة النيتشوية تتعمدنا باستراتيجية من الصعب تبنيها لأنها تطالب بشكل جديد من العقل Esprit nouveau ليس عقلانيا ومنطقيا وإنما ديناميكيا منفتحا على مختلف الاتجاهات

والاختلافات الفكرية، حيث حلم نيتشه من خلال الفيلولوجيا إلى حل مختلف المسائل الفلسفية والدينية.

وقد منحته الفيلولوجيا صرامة المنهج ودقة التفاصيل حيث تعرض من خلالها لتاريخ الأدب الإغريقي، تاريخ الأديان القديمة، تاريخ الخطابة(البيان)، تاريخ الفلسفة الإغريقية، حيث ما كان ليقتبل بمعارف عصره خصوصا الفيلولوجيين الذين يبحثون دوما في الماضي عن توارخ الواقع لهذا كان هؤلاء لا يبدوون له ممثلين كبار لأن الفيلولوجي لا يجب ان يكون مؤرخا بالمعنى العادي أي الاعتماد على السرد فقط، وإنما يجب أن يكون معلما ومنقبا وبحاثا، وبحصر المعنى فيلسوفا، الجينيلوجيا إذًا هي بمنظار فيلولوجي بحث في المشاكل بحثا مفككا للغة عبر التاريخ.

6- العدمية وضرورة التأسيس القيمي:

1-6 مفهوم العدمية:

إنّ نيتشه من خلال تشييده لمبدأ إرادة القوّة فإنّه كان يصبوا من وراءه إلى تحقيق غايات محدّدة، وهذا ما جعل منها فكرة مركزيّة في فلسفته باتخاذها علّة للوجود حيث يقول: "إنّ ماهية الوجود الأكثر حميمية هي إرادة القوة" (دولوز، 1993، صفحة 36).

وبهذا ستغدو المفهوم الوحيد الذي ستوكل له مهمّة تشييد و تأسيس وبناء كلّ ما هو موجود، وبهذا ستكون مصدر القيم باعتبارها خلّاقة، لكن لن يحدث هذا إلاّ بعد حدث العدمية، هذه الحالة التي عند نيتشه حالة مرضية "un état pathologie" (Nietzsche, 1988, page 15).

وفي المنجد اللغوي العدم هو ضدّ الوجود أي الفقدان، "والعدم لا يتأتى منه إلاّ عدم" (حنفي، 2000، صفحة 524).

والعدمية هي لفظ مشتقّ من اللفظ اللاتيني "Nihil" ومعنى لا شيء، وهي ثلاثة أنواع، فلسفية، أخلاقية و سياسية، وأول من استعمل هذا المصطلح هو الأديب الروسي

"تورجينيف" في روايته "الآباء و الأبناء" سنة 1862، و هي تطلق على المذهب الاجتماعي الذي اعتنقه عدد كبير من الثوريين الروس قبل سقوط الحكومة القيصرية عام 1917. حيث ارتكز هذا المذهب على نقد الأوضاع الاجتماعية والسياسية الفاسدة، والعدمية السياسية هي مرادفة للفوضويّة أو الفوضى وهي أي العدمية في نظرية المعرفة تعني: "لا توجد حقيقة عامّة ثابتة" (Armand cuvillier, 1956, P 126) « nie toute vérité générale fixée»

2-6 تاريخيتها:

العدمية هي ليست رأياً لفيلسوف أو مذهباً لشخص معيّن أو ظاهرة تاريخية، بل هي تجربة جديدة بدأت في الظهور حوالي القرن 18م مع المثالية و الرومانسية الألمانية وكذلك مع الروسي توربنيف السابق الذّكر وهي من منظور نيتشه من أعظم و أكبر الأحداث التي عاشها الغرب الحديث، وهو يعتبر نفسه بمثابة العدمي الأوّل في أوروبا لأنّه عاش حالة العدمية وجربها وذاق مرارتها وهي تحتلّ مكانة أساسية في كتاباته وخاصةً "إرادة القوّة" و هي نتيجة حالة الانحطاط والشكّ الذي بلغته الحضارة الغربية وهي في نظره بمثابة المسار التاريخي لتاريخ الغرب، فهي إحدى ضروريّاته، وهي تعني عنده أنّ: "كلّ القيم الملزمة تفقد سلطانها الآن، فالقيم التي كانت عليا لحد الآن تفقد مفعولها وصحّتها الآن.

وهنا يظهر لنا الربط الذي يضعه نيتشه بين العدمية و القيمة، لأنّ العدمية تطرح سؤال القيمة، اذ يقول في إرادة القوة: "سؤال العدمية ما الجدوى؟ (مفرج، نيتشه الفيلسوف الثائر، 2003، صفحة 70) «la question du nihilisme « à quoi bon»

حيث تصير العدمية ظاهرة مقلقة و مفزعة "لأنّ ما اعتبره الإنسان حتى يومنا أرفع منه... وكلّ ما رفعه فوق مجرد الحيوانية، و كلّ ما رفعه طوال عشرين قرنا وكأنّه نجمة تشرق فوق مشاهد حياته، كل ذلك يكشف فجأة عن معنى غامض خفيّ، و يبرز أرضية مقلقة تبعث الهلع في النّفس" (مفرج، 2003، صفحة 70)، و الملاحظ هو أنّه رغم اتخاذ نيتشه لمبدأ إرادة القوّة كحركة مضادّة للعدمية، وجعله لإرادة القوّة البديل المستقبلي لها، إلّا أنّه يسلم بضرورتها التاريخية والسيكولوجية باعتبارها نتيجة منطقية لهيمنة و سيطرة و سيادة المثل

و القيم العليا للحضارة الغربية من دين وأخلاق، وعلم وديمقراطية..... ونجد مارتن هايدغر يذهب أبعد ممّا تصوّره نيتشه للعدمية، فهي ليست فقط المسار التاريخي لتاريخ الغرب أو خطه الأساسي بل هي قانون الغرب ككلّ "قانون الحضارة الغربية و منطقها، بل إرادة النفي الكامنة وراء تلك الحضارة." (أندلسي، 2006، صفحة 58)، فهي القانون الذي بفضلها تقاس القيم وتقدرّ في العالم الغربي، الذي يتكوّن من عدّة لحظات أوّلها لحظة القيم العليا، تليها لحظة تبخيسها و تقويمها ثمّ لحظة الوجود الفارغ من المعنى والفاقد لكلّ قيمة وأخيرا مرحلة إحلال القيم الجديدة أي مرحلة التأسيس القيمي.

3-6 العدمية وضرورة إعادة التأسيس القيمي:

من خلال هذا التشخيص والوصف للحالة العدمية التي عاشها الغرب فإنّ نيتشه يدعونا إلى ضرورة إعادة التأسيس القيمي أي إعادة النظر في كلّ القيم، في كلّ ما اعتقد على أنّه الحقيقة، وهذا التقويم يكون وفق إرادة القوّة فبعد النّقد الذي وجّهه نيتشه للقيم التي كانت سائدة ينتقل الآن إلى مرحلة أخرى والتي من خلالها يأتينا بالتقويم الجديد، وهذه المرحلة يمكن أن نسميها بالبناء أو البداية الجديدة حيث فيها سيستخدم نيتشه وسائل غير التي استخدمها في مرحلة الهدم، فهنا هو يستعمل الحدس الكاشف و يلقي بالمنهج الجينالوجي جانبا بعدما كان قد استعمله في المرحلة الأولى، فالحدس الكاشف هو سبيل إدراك المهمة الجديدة التي تتمثل حسبته في ولادة حياة جديدة، والشرط الواجب حسبته لهذه الحياة هو تجاوز العدمية و هذا التجاوز عند نيتشه هو نوع من التحوّل، تحوّل الأسد إلى طفل، فهذا التحوّل هو نوع جديد في الوعي والاعتقاد، وبفضله سيشعر الإنسان بأنه يعي العالم الأرضي، فالتجاوز لا يعني الانتقال من العدمية إلى الانتصار عليها بل هو نوع من التحوّل الذي هو بمثابة نوع جديد في الوعي إذ من خلاله "الإنسان لم يعد يذكر أسماء الآلهة أو يطلب شفاعة القديسين و أنّ دور الكلام الذي يوجهه إنسان للإنسان قد جاء" (مفرج، 2006، صفحة 76) كما يشير هذا التحوّل إلى قطيعة مع الإنسان الماضي المحمل

بأنقاله، وبفضل هذا التحوّل سيغدو في الإمكان التأسيس لقيم جديدة قيم إرادة القوّة حيث يقول نيتشه في "هكذا تكلم زرادشت" سأشرح لكم تحوّل العقل في مراحل الثلاث، فأنبئكم كيف استحال العقل جملا وكيف استحال الجمل أسدا، وكيف استحال الأسد أخيرا فصار طفلا" (نيتشه، صفحة 32)، فمع الطفل ستتغيّر كل القيم، والقيمة هي الخاصية الموجودة في الشيء و التي تجعله يقوم في أذهاننا مقاما معينا و هكذا فبعدها كان العقل جملا يرمز إل حمل الانتقال، وبالتالي حمل القيم البالية سيتحوّل إلى أسد و الأسد يرمز إلى التحرّر من كلّ القيم البالية، وفي الأخير سيغدوا العقل طفلا والطفل لا يخفي بداخله شيئا كما أنّه لا يخشى المخاطرة فهو لا يحلم بجنة ضائعة فكلّ شيء مباح بالنسبة إليه فهو عندما يكون عند شاطئ البحر يبني ويهدم دون مبالاة فهو فتنان، فما يصوّره زرادشت هنا هو سلفا الإنسان الأسمى الذي سوف يبشر به هذا الطفل و بفضل هذا التحول يصير الإنسان ذلك الذي تحوّل من صورة العدمي إلى صورة العارف الحرّ الذي يضع القيم. تبعا لإرادة القوة المسيطرة عليه، أو التي تحكمه، وهكذا فإنّ نيتشه كان قد أعلن حربا على كلّ القيم سواء الدينية أو الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية فقد كان دائما يعترض على المسيحية و الإيمان بالله ويدعوا إلى الإلحاد، كما اعترض على مشروع السلام الدائم لكانط و دعا إلى الحرب لكن الظاهر أنّ نيتشه كان مخطئا كثيرا فيما يدلي به، فاعتراضاته على تبديل قيم السّلم بقيم الحرب لا تتقدّم بنا إلى الأمام بل تعود بنا إلى الخلف.

كما أنّه باتخاذ إرادة القوّة الخاصية الأساسية للموجود فإنّه بذلك قام بإقصاء المرء من الحديث عن أي حقائق أبدية خالدة، لأنّ إرادة القوة كما تصوّرها هي أساس كلّ حقيقة، بالإضافة إلى فكرته عن التحوّلات الثلاث للعقل فإنها حتى ولو تحققت أو أمكنها التحقق في مراحلها الأولى إلّا أنّها تبقى فكرة نسبية لا يمكن تعميمها، وبالتالي لا يمكن أن ننشأ مجتمعا أو نشأ خارج أطره الاجتماعية. وبالتالي فإنّ هذه الفكرة هي فكرة مثالية، وهذا ما جعل هايدغر يرى أنّه مع نيتشه عرفت الميتافيزيقا الغربية اكتمالها لأنها "قد جعلت الموجود هو كلّ الوجود، الموجود و لا شيء قبله، الموجود و لا شيء بعده، الموجود و لا شيء أمامه،

الموجود و لا شيء وراءه، الموجود و لا شيء فوقه، الموجود هو كل شيء" (سليمان، 2009، صفحة 80)، زيادة على أنّ فكرته حول القيم و إعادة تبديلها هي فكرة رائعة و ضرورية لكن لو كانت أو بقيت في إطارها النسبي لأنّ ليست كل القيم هي بحاجة إلى تغيير جذري و قلب كلّ، كما أنّ العدمية و باعتبارها تجربة مزدوجة تبدأ مع إلغاء القيم ثمّ إعادة تأسيس قيم جديدة، تبشّر بحياة جديدة، وهي فكرة تفتقد إلى الكثير من الجرأة أو لا يزال يلزمها الجرأة وكما يرى "دولوز" فإنّ النتيجة المترتبة عن حدث العدمية هو هيمنة و سيادة الروح الإنكارية على الحضارة الغربية.

ونيتشه من خلال سعيه إلى قلب كلّ القيم و تأسيس قيم جديدة كان يهدف إلى تأسيس أسلوب جديد في القراءة و التقويم داخل الفلسفة وهو ما يعرف بالقراءة القيمية أو الجينالوجية، كما أنّه كان يهدف إلى فضح تواطؤ الفلسفة مع الدين و الأخلاق، وهذا الذي جعلها تحيد عن وظيفتها المتمثلة في إبداع و خلق المفاهيم الجديدة، ولم يكن الدافع إلى قلب القيم إلاّ دليل على الدور الذي يمنحه نيتشه للذات الإنسانية باعتبارها المصدر الأول للحقيقة.

7- نيتشه ومشروع البحث والتأسيس للإنسان الأعلى:

هذه القيم التي يتحدث عنها نيتشه من أين أنت ومن أين ستأتي ومن هو خالقها؟، هي من داخل الكيان الإنساني فخالقها هو الإنسان رغم اعتقاده أن هذه القيم مفروضة عليه وهو لم يعمل سوى على الاهتداء إليها، إذ أنه لم يدرك أنه هو خالقها ومبدعها، وهذا ما يجعله يحاول المحافظة عليها ومحاولة إبقائها وهذا الاعتقاد بوجود واضح للقيم هو الذي غيّب للإنسان فاعليته بنظر نيتشه، وما محاولة إرجاع نيتشه للقيم إلى الإنسان إلاّ إيماناً منه بقدرات هذا الأخير، ودعوة له لكي يمارس فاعليته اللامحدودة، وأن يضفي على العالم مجموعة من المعاني مثلما أضفى عليه من قبل معناه القديم.

1-7 الإنسان الأعلى ومشروع تجاوز الإنسان الأخير:

دعا نيتشه إلى الإنسان الأعلى، إنسان إرادة القوة، وبهذا التبشير فإن نيتشه وكما أورده مجاهد عبد المنعم مجاهد في مقدمة ترجمته لمؤلفه "هذا الإنسان" هو "محارب ولهذا فإنه عندما يتفلسف فإنما يحمل مطرقة لهدم القديم وتشبيد الجديد، داعياً إلى زرادشت جديد،... وداعياً إلى ديونيزوس جديد ذلك الإله اليوناني القديم الذي هو إله الظلام، ولهذا فهو أقدر الجميع على الغوص في الأعماق بحثاً عن نور جديد ولقد أدرك ببصيرة شديدة أن الثقافة والعلم الحديثين قد فقدوا البصر... إنهما يكتفیان بإنتاج الهمجية وكان نيتشه في هذا نذير النزعة العدمية والتهديم التي سيشهدها من بعده القرن العشرون" (نيتشه، 2009، صفحة 10)، فنيتشه من خلال محاولته قلب كل القيم وإعادة بناءها فإنه كان قد ينظر في الوقت ذاته إلى كل القيم على أنها مجرد أوهام وأخطاء. "فكل ما قيمه الناس بكل تحمس ليس حتى حقائق، إنه مجرد خيالات، أو بمعنى أكبر الأكاذيب تنطلق من الغرائز الشريرة للطباع المرضى والضارة كل المفاهيم (الله)، (النفس)، (الفضيلة)، (الخطيئة)، (التجاوز إلى الموارء)، (الحياة الخالدة)... كل الأمور السياسية والنظام الاجتماعي والتربية قد زيفت من قمة الرأس إلى أخمص القدم، لأن أكثر الناس ضرراً هم الذين نُظر إليهم على أنهم أعظم الناس...إنني لا أعتبر من يسمون أوائل الناس بشراً فهم بالنسبة لي قاذورات البشرية، هم نتاج المرض وغريزة الانتقام..." (نيتشه، 2009، صفحة 65).

ومنه فإن نيتشه قد بشر بالعدمية في شتى المجالات وحتى بعدمية الإنسان الأخير هذا الذي لم يعد ينتج شيئاً، فهو لا يعدو أن يكون قاذورة بشرية كما يصفه، إذ أنه لم يعد قادراً على الخلق أو الإبداع، وهذا ما جعل نيتشه يبشر بإنسان جديد، إنسان لا يؤمن بما هو مفارق ولا يؤمن بما هي الفضيلة ولا الدين أو السياسة إنه الإنسان الأسى، الذي سوف توكل له مهمة التأسيس الجديد، ومجيء هذا الإنسان الأسى ما هو سوى تبشير بموت الإله وقلب القيم، وهو في الوقت ذاته مبشر بعدمية الإنسان الأخير حيث يقول: "أن أعلمكم الإنسان الأسى فالإنسان شيء يجب تجاوزه" (بيارهيبر، 2002، صفحة 56)

وهكذا فقد دعا نيتشه إلى تجاوز هذا الإنسان الأخير مبشرا في الوقت ذاته بالإنسان الأسمى، الإنسان الذي يعيش في عالم الأرض وليس في عالم الماوراء الإنسان الذي تحكمه إرادة القوة، ولا يؤمن بالآخرة: الإنسان الأسمى هو معنى الأرض... في ما مضى كانت إهانة الله أعظم الإهانات، لكن الله قد مات، ومات معه محقروه أيضا، إن إهانة الأرض الآن هي الشيء الأكثر مدعاة للرهبة..." (بيارهيبير، 2002، صفحة 59) لكن الشيء المحير في هذه الفكرة التي يضعها نيتشه لمشروع الإنسان الأسمى هي فيما يخص إمكانية بلوغه أو تحقيقه فما هي الشروط التي يضعها لأجل إنجاح مشروعه هذا.

2-7 شروط الإنسان الأعلى (الأسمى):

إن نيتشه قد اعتبر أن القوة هي أساس الأخلاق وليست الشفقة لهذا فهو قد دعا إلى إنتاج أفراد أقوياء لا يحبون الشفقة ولا يمارسونها حيث سعى إلى أن يجعل من هدف الإنسانية هو هذا الإنسان الأعلى أو الأسمى وليس الجنس البشري برمته، وهكذا فقد سعى نيتشه إلى إنتاج إنسان مخالف ومغاير تماما لما هو موجود، إذ أنه شبّه الإنسانية عامة على أنها مجرد مصنع تجري فيه الكثير من التجارب ولا ينجح منها إلا القليل، وهذا هو حال الإنسانية إذ أنه من خلال عمليان الاصطفاء والتجارب يخرج الإنسان الأسمى، فليس بمقدور كل إنسان أن يكون هو هذا الإنسان الأسمى، فلي بمقدور كل إنسان أن يكون هو هذا الإنسان الأسمى أو أن يكون في مستواه، ولكن رغم هذه الندرة في هذا الرجل وقلته إلا انه وجب على البشرية أن تسعى إلى تحصيل ولو عدد قليل منه. ومن صفات هذا الإنسان الأسمى أن يكون فردا متفوقا يرتفع بشجاعته من وسط العامة.

وعندما يقوم نيتشه بالتفتيش عن هذا الرجل السامي يجده أنه تمثل في الحضارة اليونانية وفي الهند القديمة وكذلك في شخص نابليون، ومن شروطه أيضا أن يكون متفوقا، إنه " الفردية الجميلة المتألقة التي غدت الآن فيها أنا كونية" (بوملحم، 2008، صفحة 136). والحل الذي يقدمه نيتشه لإنتاج هذا الإنسان السامي يقوم على اختيار النسل والتربية أو

التعليم، ومن عوامل تحسين النسل يقترح نيتشه فكرة عدم السماح لأفراد الرجال وأقواهم بالزواج عن طريق الحب لأنه زواج كثيرا ما يشط أصحابه في الضعف والوهن، كان يتزوج الأبطال من الخادمت أو العباقرة من الخياطات، ونساء الأرياء، ولهذا فإن نيتشه يحذر من الوقوع في الحب، إذ أنه يحرم الإنسان السامي من الزواج عن طريق الحب، ويدعو إلى أن يتزوج خير الرجال من خير النساء، والحب هو لحنالة الرجال، وبهذا يمكن تحسين النسل وتحصيل الإنسان المنشود أما العنصر الثاني الذي يقترحه نيتشه للحصول على الإنسان السامي هو التعليم، ويكون هذا التعليم "ديونيزوسيا" قائما على إرادة القوة، من خلال إنشاء المدارس القاسية والعنيفة التي تهدف الوصول بالتلاميذ إلى الكمال الديونيزوسي، حيث تدرهم على تحمل المسؤوليات الكبيرة والجسمية دون أن ينعموا بكثير من الراحة، كما أنها تدرج أجسامهم على تحمل الآلام في صمت.

وهي كذلك تعلمهم الضحك وضرورة تقديسه حيث يقول في هذا الإنسان "هذا التاج من الضحك، هذا التاج المكلل بالورود: إليكم يا إخوتي هل اقدفه هذا التاج، الضحك هو ما نتناغم معه، وانتم أيها الناس الأعلون تعلموا. إنني أتضرع إليكم-ألا تضحكوا " (نيتشه، 2009، صفحة 200)، لكن لماذا الضحك؟ لأنه من يكون قوي وبلغ ذروة الضحك، يضحك لت من المآسي الموجودة في الحياة، ويجب على هذه المدرسة ألا تخلوا من التطرف في الأخلاق كالتقشف والزهد واحتقار الجسد.

وهذا المشروع ينعته نيتشه بالسياسة الكبرى التي تحمل على كتفها عبء المستقبل الإنساني بوعي وتدبر. وبهذا سيتمكن الإنسان من الارتفاع فوق "الخير والشر" ولا يتردد في اللجوء إلى القوة والقسوة من أجل تحقيق غاياته.

والإنسان السامي هو من يسعى إلى المخاطرة والمغامرة والكفاح دون خشية ضمن العواقب، وهذا الإنسان يتصوره نيتشه على سبيل المثال في نابليون بونابرت الذي استطاع أن يخرج من وإنقاض الثورة الفرنسية ويجعل من الناس جميعا يشيدون باسمه ويضحون لأجله في المعارك، ولهذا فإن نيتشه يدعونا إلى التعاون في إنتاج هذا الإنسان، إذ انه حاول ألا يجعل

منه هدفا وغاية يجب على الإنسانية ان تسعى لتحقيقه، وأكثر من هذا فانه يدعونا لان نكون إما عظماء أو خدأما لهؤلاء العظماء، مثل ما حدث مع نابليون والشعب الفرنسي، وهنا نجده يشيد بالمنظر الذي قدمه الفرنسيون لنابليون من أجل الانتصار في ثوراته عندما ضحوا بأنفسهم عن طيب خاطر من أجل نصرتهم. ومن خلال هذا العرض وهذا التصور يظهر لنا كيف حاول نيتشه إلا يعرفنا عن هذا الإنسان الموجود والمنشود حسبه، وكيفية الحصول وعليه وهاهي أهم الشروط التي يجب أن تكون فيه. لكن رغم هذا إلا انه يبدو ان نيتشه ومن خلال فكرته هذه حاول أن يعيدنا إلى تلك المثالية التي كثيرا ما انتقدناها لأنه مشروع الإنسان السامي هو بمثابة محاولة لتاليه الإنسان، إذ أنه علم بعيد عن التحقق وبهذا كان أحد وجود المثالية.

8- إرادة القوة باعتبارها مبدأ للخلق والإبداع:

إن نيتشه يربط ربطا وثيقا بين مفهوم القيمة وإرادة القوة وهذا ما عبّر عليه في المراحل الثلاث لتحول العقل، فقيمة الأشياء هي دائما مرتبطة بطبيعة الإرادة التي تحكم الشيء وما دام أن الطفل محكوم بإرادة القوة، فانه هو من توكل له مهمته تغيير هذه القيم، حيث أن قيمة الأشياء تتغير بتغير الموجد، وهكذا فإن الطفل هو وحده من يُمكنه من إيجاد وخلق قيم جديدة غير التي اعترف بها السابقون. فالطفل يشير إلى قطيعة مع الإنسان الماضي، وهو في كل لحظة يدمر ويعيد البناء فهو يظهر نفسه في كل لحظة علانية كما لا يؤمن كذلك بالأمور الميتافيزيقية ولغتها، وكل هذا تقف وراءه إرادته الحرة المندفعة إلى الإمام، " فالطفل طهر ونسيان، لأنه تجديد ولعب وعجلة تدور على ذاتها فهو حركة البداية وعقيدة مقدسة" (نيتشه، صفحة 49)، فالطفل هو فنان وليس فيلسوف ولا رجل دين ولا رجل أخلاق. وهكذا يكون فعل الإرادة خلق القيم الجديدة ولهذا فإن نيتشه يدعونا إلى أن لا ننظر إلى هذا الطفل نظرة الهادم الشرير الكافر بكل القيم والأعراف بل يجب أن نعتبره مبدعا، حيث يقول: "انظروا إلى أهل الصلاح والعدل لتعلموا من هو ألد أعدائهم، ذلك هو المجرم، غير أنه هو

المبدع" (نيتشه، صفحة 44). فالطفل إذن يرمز إلى صوت الإرادة المتحررة من العدمية، الإرادة التي تؤكد القيم الجيدة، وأهم ما يميز إرادته أنها إرادة خالقة ومبدعة، وهذا الخلق هو في حد ذاته كما أشرنا يتضمن فعل الهدم " يجب على من يريد أن يكون خالقا سواء أكان ذلك في الخير أم في الشر أن يكون عارفا بالهدم وبتفجير القيم" (مفرج، 2003، صفحة 79) ومنه فإن الخالق الوحيد هو المولود الجديد هو الفنان فهو خالق القيم ومبدعها" ذلك ما تطمح إليه إرادتي المبدعة، وبتعبير أشد صراحة ذلك هو المقصد الذي تريده إرادتي" (نيتشه، صفحة 13) وهذا الخلق و الإبداع للقيم يكون في كل لحظة حيث لا يوجد خلق نهائي، إذ أن كل خلق يفترض إعادة، وسبب هذه الإعادة هو راجع إلى فعل آخر من أفعال الإرادة والذي هو فعل العطاء، وهكذا يكون الخلق دائما متجددا. وهذا ما يجعل من فعلي الخلق والعطاء جوهر إرادة القوة. والقول أن إرادة القوة هي إرادة البناء فان نيتشه يربطها بمفهومى الحرية والفرح، حيث يقول: " الإرادة هكذا تسمى المحرر ورسول الفرح. هذا ما أعلمكم إياه يا أصدقائي" وما الإنسان المبدع إلا الإنسان الذي تفيض منه القوة. وما إرادة القوة في جوهرها إلا واهبة وخالقة، فهي لا تبحث ولا ترغب بل هي تُعطي.

ومن خلال الربط الذي كنا قد أشرنا إليه من قبل فإنه دفع بنيتشه إلى أن يثبت أن إرادة القوة هي غاية الحياة القصوى، حيث يقول: " إن توجه القيمة هو توجه شروط البقاء والتوسع" (مفرج، نيتشه الفيلسوف الثائر، 2003، صفحة 83)

وحتى الموت نجد نيتشه قد قسّمه إلى قسمين إرادي و غير إرادي فالنوع الأول هو الأسمى و الأرقى لأنه صادر عن فعل الإرادة المتحررة، وبالتالي فهذا الموت الإرادي هو عمل من أعمال الإرادة لأنه يكون عندما يشعر الشخص بأنه فقد القدرة على الخلق والإنتاج حيث يقول: "ما أجمل ميتي إذا ما أنا تخيرتها فجاءتني لأتّي أطلبها" (نيتشه، صفحة 98) وهذا الموت الإرادي هو بمثابة العيد العظيم.

نيتشه وبعد تحطيمه لأصنام الأخلاق، وأصنام الفلسفة كان عليه أن يقدم مشروع الجديد القائم على "إرادة القوة" أي مشروع القيم التي يؤمن بها. فكان الخير هم كل ما يجعل

الإنسان يشعر بالقوة والشَّر كل وما يصدر عن الضعف، وليست الرذيلة سوى الشفقة واحتقار القوة، فكانت بهذا شرعة إرادة القوة هي جوهر الوجود وعن طريقها يمكن تفسيره. وما يميز إرادة القوة هو إنها لا يمكن أن تظهر إذا ما لم تجد ومن يقاومها، فالحياة لا تستطيع أن تحيا إلا على حياة أخرى، إرادة القوة هي مقياس القيم السائدة، وكل ملله قيمة في هذه الحياة هو مقياس درجة القوة لأن وهذه الأخيرة تقاس الأشياء فهي الدافع الحقيقي للنفس وللحياة وللوجود.

فالضعيف هو رجل المساومة والتساهل والإيمان بما يعتقد خيرا، أما القوي فهو من تتوحد قواه وتتجه نمحو غاية واحدة ألا وهي اكتساب أكبر قدر من القوة والسيطرة والإخضاع حيث يقول نيتشه في أقول الأصنام: "مالا يقتلني يقويني، تعلمته من مدرسة الحياة الحربية" (Nietzsche، صفحة 10) فالقوي هو رغم كل ما يصيبه من آلام ويعترضه من أخطار إلا انه هو دائما يطلب وينشد أعظم المخاطر، فهو محكوم بإرادة القوة، وهو يزداد قوة في هذا لأن إرادة القوة قد تصادمت بمقاومة أخرى.

9- خاتمة:

إن الحديث عن نيتشه وعن المشروع النيتشوي الجينيولوجي والتنقيب فيه قد لا تكفيه هذه الصفحات من خلال هذا العمل، لكن يبقى مشروعاً قائماً بذاته له أبعاده وخلفياته الفلسفية والمعرفية، التي لا تتأني إلا بالبحث والتنقيب الجينيولوجي في أفكار نيتشه، ومحاولة استحضار نيتشه في هذا المقام تأتي لكون أفكاره هي أفكار بعدية، قد كان نيته سابقا إلى الحديث عليها حتى قبل حدوثها، وهي أفكار تحمل عدة قراءات لهذا لا يمكن حصرها في سياق واحد أو إطار واحد، وهذه إحدى أبرز خصوصيات الكتابات والأفكار النيتشوية، حيث تعد الجينيولوجيا أهم الأفكار التي وضع أسسها فريدريك نيتشه وأصبحت تتمتع بدلالة قوية في وقتنا الراهن من حيث كونها تسعى إلى فضح العملية التي وفقها يتم خلق المثل العليا، ومن هنا كان هم الجينيولوجي وشغله الكبير هو ليس الحقيقة وإنما ما

خلف الحقيقة وما وراءها، أي من يوجد وراءها، وما يوجد خلفها، بمعنى آخر من يعطيها قيمتها.

5. الهوامش

* التاسلية المقصود بها العودة إلى طباع الأسلاف التي ابتعدت عنها الانسال السابق.

** تبدو هنا فكرة التأويل واضحة والتي هي مرتبطة اشد الارتباط بالجينياالوجيا، وهذا من حيث إعطاء الأولوية لمعنى على آخر وبهذا ستكون الجينياالوجيا معبرا للتأويل.

6. قائمة المراجع:

1. Armand cuvillier, nouveau vocabulaire philosophique , 18 Edition , librairie Armend colin, paris 1956 .
- "A L'ECOLE DE GEURRE DE LA VIECE QUI NE ME FAIT PAS MOURIR ME REND PLUS FORS
2. F. NIETZSHE, LE CR2PUSCULE DES IDULES ".
3. Friedrich Nietzsche, la Volonte de puissance.
4. بيارهبر سوفرين، زرادشت نيتشه، تر: أسامة الحاج، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 2002.
5. جان غرانييه، نيتشه، تر: علي بوملحم، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2008.
6. جمال مفرج ، الفلسفة المعاصرة من المكاسب إلى الإخفاقات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.
7. جمال مفرج، نيتشه الفيلسوف الثائر، أفريقيا الشرق بيروت ، لبنان، 2003.
8. جيل دولوز، نيتشه والفلسفة، تر أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1993.
9. عبد المنعم حنفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ميدان طلعت حرب ، القاهرة، 2000.
10. فريدريك نيتشه، في جينياالوجيا الأخلاق، تر: فتحي المسكيني، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة تونس، 2010.

11. فريدريك نيتشه، هذا الإنسان، ثر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2009.
 12. فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زاردشت، ترجمة فليكس فارس، لبنان، مؤسسة هندواوي، 2014.
 13. مارتن هايدغر، الوجود و الموجود، تأليف جمال محمّد أحمد سليمان، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، 2014.
 14. محمد أندلسي نيتشه وسياسة الفلسفة، إفريقيا الشرق، المغرب، دار تقبال للنشر، 2006.
- مواقع الأنترنت:
1. (الإعلام الاللكترونية، 2017).
 2. (www.marefa.org2018).